

اجتهادات الفنون الجميلة

أكثر من ستة قرون تفصل بين بداية الفن الحديث فى أوروبا ومصر. فى مثل هذه الأيام قبل قرن تخرجت أول دفعة فى مدرسة الفنون الجميلة التى أسسها الأمير يوسف كمال والتى تم افتتاحها فى 12 مايو 1908 . وكان النحات العظيم محمود مختار على رأس تلك الدفعة. وإلى جانب قسم النحت، كانت فيها ثلاثة أقسام أخرى للرسم والزخرفة والعمارة.

حدث ذلك بعد أكثر من ستة قرون على الولادة الأولى للفن الحديث من خلال علاقة تفاعلية بين الرسام الإيطالى جوفانى تسيمابو وتلميذه النابغة فى حينه جوتو دى يوندونى فى أواخر القرن الرابع عشر. ومن خلال تلك العلاقة، التى فاق فيها التلميذ أستاذه، بُدئ فى رسم الأشخاص ومشاهد من الطبيعة بطريقة جديدة مختلفة عن النمط البيزنطى الجامد. دبت الحياة للمرة الأولى فى اللوحات المرسومة. وظهر أثر الطريقة التى يفكر بها الرسّام، وحالته الشعورية، فى لوحات تدفع المشاهد إلى التفكير فى دلالاتها وأبعادها. وكانت تلك البداية الأولى لما عُرف بفنون عصر النهضة مؤشراً إلى توق الإنسان إلى حياة أرقى وأجمل يحظى الإبداع بموقع مُميز فيها.

كان انتعاش التجارة قد بدأ فى تحريك الركود الزراعى الطويل فى أوروبا. وكانت الهجرة من الأرياف إلى المدن تؤذن بإرهاصات ولادة مجتمع مدنى منذ القرن الثالث عشر. وكان هذا كله باعثاً على ظهور الفنون الحديثة فى الرسم والنحت والمعمار والزخرفة، وفى الموسيقى بطبيعة الحال. فنون

يظهر فيها أثر العقل، وتدفع إلى تأمل المعانى المتضمنة فى هذا العمل أو ذاك.

وفى سياق ذلك التطور الكبير اقترن الفن بالعلم، وهما المجالان اللذان اشتد فيهما الصراع بين القديم والجديد. فقد فتح الرسم الباب أمام تطوير ما عُرف بعد ذلك بقانون المنظور فى الهندسة. كانت فى رسوم جوتو بداية تمثيل الأجسام على اللوحة المنبسطة كما تبدو لعين الناظر إليها من موقع معين، وليست كما هى فى الواقع. ولم تعد اللوحة تظهر مُسطحة بالطول والعرض فقط، بل يبدو لمن يشاهدها أن لها عمقًا. وربما تكون لنا عودة أكثر تفصيلاً إلى هذه العلاقة بين الفن والعلم فى قادم الأيام.